

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م

مقدمة

الحمد لله الذي يعطى ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ويضر وينفع ، لا مـــانع لما أعطى ولا معطى لما يمنع . يكور النهار على الليل ويكور الليل على النهار . يعلم الأسرار ، ويقبل الأعذار ، وكل شئ عنده بمقدار ، سبحانه كل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به، غِنى كل فقير، وعزٌّ كـــل ذليـــل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف. من تكلم سمع نطقه، ومن ســكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بشر الصابرين في كتابه الكريم فقال :" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) **سورة البقرة** .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه أرســله ربــه رحمة للعالمين وإماماً للموحدين وقدوة للمتقين الصابرين فقال لنا مرشداً ومعلماً : " مَا أُعْطِيَ أَحَد عَطَاء خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصبْر" **(متفق عليه).**

وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، الصابرين المخلصين ومن تــبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبـعد . . . ؛

فإن الصبر شعبة من شعب الإيمان ، بل كما قيــل : الإيمـــان نــصفان ؛ نصف صبر ونصف شكر . وقد ذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعاً، وأضاف إليه أكثر الخيرات والدرجات وجعلها ثمــرة له، بل قرنه الله تعالى بالعبادات والأخلاق والفضائل .

فقرنه بالصلاة فقال جل شأنه : " وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) **سورة البقرة .**

وقرنه بالتسبيح والاستغفار فقال : " وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩) **سورة الطور .**

وقرنه باليقين فقال : " وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) **سورة السجدة.**

وقرنه بالتوكل فقال : " الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) **سورة النحل .**

كما ربطه بالشكر فقال : "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) **سورة إبراهيم .**

وربطه بالتقوى فقال : "وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) **سورة آل عمران .**

وربطه كذلك بالحق فقال : " وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) **سورة العصر .**

وربطه بالرحمة فقال :" ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) **سورة البلد .**

وكذا ربطه بالجهاد في سبيل الله تعالى فقال : " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠) **سورة النحل .**

والصابرون هم من أعظم الناس جزاءً ، ومن أكثرهم سعادة يوم القيامة قال تعالى : " إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) **سورة الزمر .**

وعَن أَبي سَعِيدٍ الْخُدرِي رضي الله عنه أن نَاساً مِنَ اَلأنصَارِ سَاَلُوا رَسُولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فَأَعْطَاهُمْ ، ثُم سَأَلُوُهُ فَأَعْطَاهُمْ ، حتَى نفِسَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : مَا يكُونُ عِنْدِي مِن خَير فَلَنْ أَدخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفهُ الله ، وَمَنْ يَسْتَغْن يُغْنِهِ الله ، وَمَنْ يَتَصبَرْ يُصبرهُ الله ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَد عَطَاء خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصبْر. **أخرجه "أحمد" ٣/٩٣(١١٩١٢) و(البُخارى) ٢/١٥١(١٤٦٩) و"مسلم" ٣/١٠٢(٢٣٨٨).**

عَنْ عمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْخَلائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، نَادَى مُنَادٍ : أَيْنَ أَهْلُ الْفَضْلِ ؟ فَيَقُومُ نَاسٌ وَهُمْ يَسِيرٌ ، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ سِرَاعًا ، فَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ، فَيَقُولُونَ : إِنَّا رَأَيْنَاكُمْ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : نَحْنُ أَهْلُ الْفَضْلِ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا فَضْلُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : كُنَّا إِذْ ظُلِمْنَا صَبَرْنَا ، وَإِذَا أُسِيءَ إِلَيْنَا عَفَوْنَا ، وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا حَلُمْنَا ، فَيُقَالُ لَهُمُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : أَيْنَ أَهْلُ الصَّبْرِ ؟ فَيَتَقَدَّمُ نَاسٌ وَهُمْ يَسِيرٌ ، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ سِرَاعًا ، قَالَ : فَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ، فَيَقُولُونَ : إِنَّا نَرَاكُمْ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : نَحْنُ أَهْلُ الصَّبْرِ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا صَبْرُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : كُنَّا نَصْبِرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكُنَّا نَصْبِرُ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيُقَالُ لَهُمُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . **أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/١٤٠ وهو ضعيف .**

عن عبد الله بن مسعود قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:إن أفضل عيش أدركناه بالصبر ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا.

وعن مسروق قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:ألا إن الـــصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس باد الجسد ،ثم رفع صوته فقال ألا انه لا إيمان لمن لا صبر له وقال الصبر مطية لا تكبو.

وقال الحسن الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنـــده وقال عمر بن عبد العزيز ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرا مما انتزعه وقال ميمون بن مهران ما بال أحد شيئا من ختم الخير فمـــا دونـــه إلا الـــصبر.**ابن القيم : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ١٩.**

قال الشاعر :

إذا لم تسامح في الأمور تعقدت * * * عليك فسامح وامزج العسر باليسر
فلم أر أوفى للبلاء من التقى * * * ولم أر للمكروه أشفى من الصبر
صبراً جميلاً على ما ناب من حدث * * * والصبر ينفع أحياناً إذا صبروا
الصبر أفضل شيء تستعين به * * * على الزمان إذا ما مسك الضرر

أيها الحبيب .. إذا ادْلَهَمّت الأمور واسودت الحياة وعظمـــت المـــصائب وكثرت الرزايا فالصبر ضياء.

إذا نزل المكروه وحَلّ الأمر المخوف وعظم الجزع واحتـــيج لمـــصارعة الحُتُوف فالصبر التجاء.

إذا انسدت المطالب وهيمن القلق واشتد الخوف وعظمت الكربة فالـــصبر دواء.

إذا أصبح الدين في غربة والإسلام في كُربة وعمت المعاصي وعظمـــت الشبهات والشهوات فالصبر عزاء.

هذر رسالة في الصبر تناولت فيها :

١- **معنى الصبر .**

٢- **أنواع الصبر .**

٣- **مراتب الناس حال المصيبة.**

٤- **أمور تساعد المسلم على الصبر.**

٥- **ثمار وفوائد الصبر .**

اللهم يمِّن كتابنا، ويسِّر حسابنا، وثقِّل موازيننا، وحقِّق إيماننا، وثبِّت على الصراط أقدامنا، وأقرّ برؤيتك يوم القيامة عيوننا، واجعل خير أعمالنا آخرها، وخير أيامنا يوم لقاك. اللهم لا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحدًا سواك، واجعلنا أغنى خلقك بك، وأفقر عبادك إليك. اللهم هب لنا غنى لا يطغينا، وصحة لا تلهينا، اللهم وارزقنا الصبر والشكر ، واجعلنا من الشاكرين لنعمائك الصابرين على بلائك .

طالب رضا ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

١٠ جمادى الأولى ١٤٣١هـ = ٢٤/٤ / ٢٠١٠م

١- معنى الصبر :

والصبر معناه : حبس النفس عن الجزع، والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن كل فعل محرم كلطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور.

وهناك الصبر الجميل الذي قال فيه الله تعالى : " فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً " **المعارج ٥.**

قال الشوكاني :" معنى الصبر الجميل وقيل هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري بأنه مصاب". **فتح القدير ٥/٤٠٤.**

وقيل الصبر الجميل هو: الصبر الذي لا يكون معه تبرم ولا تسخط ولا شكوى لغير الله ولا ملل ولا اعتراض علي أمر الله ولا انقطاع عن طاعة الله ولكن الصبر الذي يصاحبه الإيمان بقدر الله والرضا به وأن يؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطئه لم يكن ليصيبه .

وقيل :الصبر الجميل: هو الذي يبتغي به العبد وجه الله الجليل، لا حرجاً من أن يقول الناس: جزع، ولا أملاً في أن يقول الناس صَبر، وإنما يبتغي بصبره وجه الله جل وعلا، يصبر واثقاً في الله، مطمئناً بقضاء الله وقدره، مستعلياً على الألم، مترفعاً على الشكوى.

قال ابن زيدون

هوَ الدّهرُ فاصبرْ للذي أحدَثَ الدّهرُ * * * فمن شيمِ الأبرارِ، في مثلها، الصّبرُ

ستصبرِ صَبرَ اليأسِ أو صبرَ حِسبَةً * * * فلا تؤثرِ الوجْهَ الذي معهُ الوزرُ

حذارَكَ منْ أنْ يعقبَ الرُّزْءُ فتنةً * * * يضيقُ لها، عن مثل إيمانِكَ، العذْرُ

٢- أنواع الصبر:

وللصبر ثلاثة أنواع هي : الصبر على طاعة الله تعالى ، والصبر عن معصية الله تعالى ، والصبر على الأقدار والمصائب والابتلاءات .

والصبر على الطاعة أفضل الأنواع الثلاثة لأن فعل الطاعة آكد من ترك المعصية، والصبر على الطاعة وعن المعصية أكمل من الصبر على الأقدار، فإن الصبر فيها اختيار وإيثار، ومحبة، أما الصبر على المصيبة فإنه أمر جرى بغير اختيار العبد ولا كسب له فيه فليس له فيها حيلة غير الصبر.

والعاقل هو الذي يدرك أن الدنيا دار هموم وغموم وبلاء ، وليست دار راحة ونعيم وهناء ، قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: "ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تَعْتَوِرْ فيها الأمراضُ والأكدار، ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار، فآدم يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذَبْحَ الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسي فرعون ويلقى من قومه المحن، وعيسى ابن مريم لا مأوى له إلا البراري في العيش الضَّنْك، ومحمد يصابر الفقر وقَتْلَ عمه حمزة وهو أحب أقربائه إليه ونفور قومه عنه، وغير هؤلاء من الأنبياء والأولياء مما يطول ذكره، ولو خُلِقت الدنيا للذة لم يكن حظّ للمؤمن منها".

لما دخل سلمان الفارسي على صديق له يعوده فقال:" إن الله تعالى يبتلي عبده المؤمن بالبلاء ثم يعافيه، فيكون كفارة لما مضى، فيستعتب فيما بقي، وإن الله عز اسمه يبتلي عبده الفاجر بالبلاء ثم يعافيه، فيكون

كالبعير عَقَلَه أهله ثم أطلقوه، فلا يدري فيم عَقَلُوه حين عَقَلُوه، ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه". حلية الأولياء ٢٠٦/١.

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به *** لطبت نفساً ولم تجزع من الألم
واعلم بأنك لو لم تصطبر كرماً *** صبرت رغماً على ما خط بالقلم

٣- مراتب الناس حال المصيبة :

الناس حال المصيبة على مراتب أربع :

المرتبة الأولى: التسخط، وهو على أنواع: النوع الأول: أن يكون بالقلب، كأن يتسخّط على ربه يغتاظ مما قدره الله عليه، فهذا حرام وقد يؤدي إلى الكفر، قال تعالى: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ [الحج:١١]. النوع الثاني: أن يكون التسخّط باللسان، كالدعاء بالويل والثبور وما أشبه ذلك، وهذا حرام. النوع الثالث: أن يكون التسخّط بالجوارح، كلطم الخدود وشق الجيوب ونتف الشعور وما أشبه ذلك، وكل هذا حرام مناف للصبر الواجب.

رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقةً وضرورة ، فقال : يا هذا ، تشكو من يَرْحَمُكَ إلى مَنْ لا يرحمك! ثمّ أنشده :

وإذا اعْتَرَتْكَ بليّةٌ فاصبِر لها *** صَبْرَ الكريمِ فإنّه بك أَرحمُ
وإذا شكوتَ إلى ابن آدم إنّما *** تشكو الرّحيم إلى الّذي لا يرحم

روي أنه كان في زمن حاتم الأصم رجل يقال له : معاذ الكبير . أصابته مصيبة ، فجزع منها وأمر بإحضار النائحات وكسر الأواني . فسمعه

حاتم فذهب إلى تعزيته مع تلامذته ، وأمر تلميذاً له . فقال : إذا جلست فاسألني عن قوله تعالى : { إن الإنسان لربه لكنود } فسأله فقال حاتم : ليس هذا موضع السؤال . فسأله ثانيا ، وثالثا . فقال : معناه أن الإنسان لكفور ، عداد للمصائب ، نساء للنعم ، مثل معاذ هذا ، إن الله تعالى متعه بالنعم خمسين سنة ، فلم يجمع الناس عليها شاكراً لله عز وجل . فلما أصابته مصيبة جمع الناس يشكو من الله تعالى ؟!!.فقال معاذ : بلى ، إن معاذاً لكنود عداد للمصائب نساء للنعم فأمر بإخراج النائحات وتاب عن ذلك . **مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ١٧٥.**

المرتبة الثانية: الصبر، وهو كما قال الشاعر:

والصبرُ مثلُ اسمه مُرٌّ مَذَاقَهُ * * * لكنْ عواقبه أحلى من العَسَلِ

فيرى أن هذا الشيء ثقيل عليه، لكنه يحتمله، وهو يكره وقوعه، ولكن الصبر يحميه من السخط، فليس وقوعه وعدمه سواء عنده، وهذا واجب؛ لأن الله تعالى أمر بالصبر فقال: وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ **[الأنفال:٤٦].**

أبو علي محمد بن محمد الأنباري

إذا ما ألَمَّت شدةٌ فاصطبر لها* * *فخيرُ سلاحِ المرءِ في الشِّدَّةِ الصَّبْرُ
وإنّي لأَستحي من اللهِ أن أُرَى * * * إلى غيره أشكو وإن مَسَّني الضُّرُّ
عسى فَرَجٌ يأتي به الدهرُ حازماً * * * صَبوراً فإن الخيرَ مِفْتاحُه الصبرُ
فكم من هُمومٍ بعد طولٍ تكشَّفت * * * وآخرُ معسور الأمور له يُسْرُ

المرتبة الثالثة: الرضا، بأن يرضى الإنسان بالمصيبة، بحيث يكون وجودها وعدمها سواء، فلا يشق عليه وجودها ولا يتحمل لها حملاً ثقيلاً، وهذه

مستحبة وليست بواجبة على القول الراجح، والفرق بينها وبين المرتبة التي قبلها ظاهر؛ لأن المصيبة وعدمها سواء في الرضا عند هذا، أما التي قبلها فالمصيبة صعبة عليه، لكن صبر عليها.

وقال إبراهيم بن العباس:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * * * ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * * * فرجت وكنت أظنها لا تفرج

المرتبة الرابعة: الشكر، وهو أعلى المراتب، وذلك بأن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة، حيث عرف أن هذه المصيبة سبب لتكفير سيئاته، وربما لزيادة حسناته، عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة ، عَن النَّبِي صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:مَا يُصِيبُ الْمسلِمَ مِنْ نَصَب ، وَلاَ وَصَب ، وَلاَ هَمٍّ ، وَلاَ حَزن ، وَلاَ أَذىً ، وَلاَ غَمّ ، حَتى الشوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إِلا كَفَّرَ الله بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ.**أخرجه أحمد ٣٠٣/٢(٨٠١٤) و"البُخَارِي" ٧/و"مسلم" ١٦/٨(٦٦٦٠).راجع: فتاوى ورسائل ابن العثيمين ٨٦/٣.**

ويقول أحد المعزين في لطائف التعازي لقاضٍ من قضاة بلخ توفيت أمه قال له:إن كانت وفاتها عظة لك فأعظم الله أجرك على موتها، وإن لم تكن لك عظة فأعظم الله أجرك على موت قلبك، ثم قال: أيها القاضي: أنت تحكم بين عباد الله منذ ثلاثين سنة ولم يرد عليك أحدٌ حكماً، فكيف بحكم واحد عليك من الواحد الأحد ترده ولا ترضى به؟ فسري عنه وكشف ما به وقال: تعزيت تعزيت.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عون بن عبد الله يعزيه بابنه : أما بعد ، فإنا ناس من أهل الآخرة أسكنا الدنيا أموات أبناء أموات ، فالعجب لميت

يكتب إلى ميت يعزيه عــن ميــت والـــسلام .التوحيدي :البصائر والذخائر ٣٣٦/٥.

تعز بحسن الصبر عن كل هالك * * * ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم
إذا أنت لم تسل اصطبارا وخشية * * * سلوت على الأيام مثل البهائم
وليس يذود النفس عن شهواتها * * * من الناس إلا كل ماضي العزائم

٤- أمور تساعد المسلم على الصبر :

١- أن يعلم المصاب أن الذي ابتلاه بالمصيبة أحكم الحــاكمين، وأرحــم الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسل البلاء ليهلكه ولا ليعذبه، وإنما ابتلاه به ليمتحن صبره، ورضاه عنه، وإيمانه، ويسمع تضرعه وابتهاله وليــراه طريحًا على بابه لائذًا بجنابه، مكسور القلب بين يديــه رافعًــا قــصص الشكوى إليه، إن كان غافلاً فحري به أن يرجع إلى الحق، وإن كان تقيًا كان ذلك سببًا لرفع درجاته، قال الفضيل : إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير " وَلَنَبْلُــوَنَّكُمْ بِــشَيْءٍ مِــنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الــصَّابِرِينَ" **[البقرة: ١٥٥].**

حكي عن يحيى البكاء أنه رأى ربه عز وجل في المنام، فقال: يا رب كم أدعوك ولا تجيبني؟ فقال: يا يحيى إني أحب أن أسمع صوتك. **صيد الخاطر ٣١.**

قال الشاعر:

وكم من ليلة بت في كربة * * * يكاد الرضيع لها يشيب
فما أصبح الصبح إلا أتى * * * من الله نصرٌ وفتحٌ قريب

٢- أن المصيبة قد قدر وقوعها العليم الحكيم قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ **[الحديد: ٢٢]**. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كتب الله مقادير الخلائق قل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» **رواه مسلم (١٦/٢٠٣)**.

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَدَعَا النَّاسَ ، فَقَالَ : هَلُمُّوا إِلَيَّ ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ فَجَلَسُوا ، فَقَالَ : هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جِبْرِيلُ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لاَ تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَأْخُذُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ. **رواه البزار ، الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٦ / ٨٦٥.**

قال الشاعر:

سأصبر للزَّمان وإن رماني * * * بأحداثٍ تضيق بها الصُّدور

وأعلم أنَّ بعد العسر يسراً * * * يدور به القضاء المستدير

٣- أن الصبر على المصيبة كنز عظيم من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم ،فالصبر سمة الأنبياء والصالحين قال سبحانه: " وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ" **[الأنبياء: ٨٥]**، وقد أثنى الله على أيوب عليه السلام لما ابتلي بالمرض فصبر: "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ " **[ص: ٤٤]**، قال ابن القيم في عدة الصابرين: (فأطلق عليه نعم العبد لكونه وجده صابرًا وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلي فإنه بئس العبد).

٤- العلم بأن المصاب ليس أول من أصيب بهذه المصيبة وهذا مما يهون وقع المصيبة عليه ولذلك أهل النار أغلق الله عز وجل عليهم الباب قال سبحانه: "وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ" [الزخرف: ٣٩]، وذلك زيادة في عذابهم، فمن فقد ولده فليحمد الله أن أبقى له أولاده الآخرون، ومن أصيب بمرض فليتذكر من هو أشد منه مرضًا.

ذكر ابن الجوزي في عدة الصابرين قصة عروة بن الزبير لما قطعت قدمه جعل يقبلها ثم قال: أما الذي حملني عليك أنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام ولا إلى معصية، ولا إلى ما لا يرضى الله، ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت في قطيفة، ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين، فلما رآه ابن طلحة قال له:قد أبقى الله أكثرك عقلك، ولسانك، وبصرك، ويداك، وإحدى رجليك، فقال له: ٠ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به).

قال شريح رحمه الله: (إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عز وجل عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب، إذ لم يجعلها في ديني).

٥- ومما يهون المصيبة أن الله سبحانه قد أراد بعبده المبتلى خيرًا فعَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ ، عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ ، أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ ، حَتَّى يُوَفَّى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.أخرجه التِّرْمِذِي (٢٣٩٦).

يقول الشيخ ابن عثيمين تعليقًات على هذا الحديث: (الإنسان لا يخلو من خطأ ومعصية وتقصير في الواجب فإذا أراد الله بعبده الخير عجل له

العقوبة في الدنيا، إما بماله، أو بأهله، أو بنفسه، أو بأحد ممـــن يتـــصل بهم، المهم أن تعجل له العقوبة، لأن العقوبات تكفر السيئات، فإذا تعجلت العقوبة، وكفر الله بها عن العبد، فإنه يوافي الله وليس عليـــه ذنب،وقـــد طهرته المصائب، والبلايا حتى أنه ليشدد على الإنسان موته لبقاء سيئة أو سيئتين، عليه حتى يخرج من الدنيا نقيًا من الذنوب، وهذه نعمـــة لأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، لكن إذا أراد الله بعبده شرًّا مهل له، واستدرجه، وأدر عليه النعم، ودفع عنه النقم حتى يبطر، ويفـــرح فرحًـــا مذومًا بما أنعم الله به عليه، وحينئذ يلاقي ربه وهو مغمـــور بـــسيئاته، فيعاقب بها في الآخرة، نسأل الله العافيـــة).**راجع : شرح رياض الصالحين ٤٨/١.**

٦- اللجوء إلى الله تعالى بالصلاة والذكر والدعاء ، قال الله تعـــالى : " وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِـــعِينَ (٤٥) **سورة البقرة** ، وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْـــرٌ صَلَّى . **رواه أبو داود والألباني : في صحيح الجامع رقم ٤٧٠٣.**
روي أن أحد الصالحين حينما أخبروه بموت ولده نزل من علـــى دابتـــه وخر ساجداً لله ، فلما سألوه قال لهم : ألم يقل الله تعالى : " وَاسْـــتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ " .

٧- إن النصر مع الصبر،وأن الفرج مع الكرب، كما قال ذلك صـــلى الله عليه وسلم، ويشمل النصر في الجهادين جهاد العـــدو الظـــاهر، وجهـــاد

العدو الباطن، فمن صبر فيها نصر، وظفر بعدوه، ومن لم يصبر فيها وجزع وقهر صار أسيرًا لعدوه، أو قتيلاً له.

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى حصل للعبد الإياس من كشفه، من جهة المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده،وهذا هو حقيقة التوكل على الله ومن أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه كما قال: "وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ" [الطلاق: ٣].

ويروى لأبي محجن الثقفي:

عسى فرجٌ يأتي به الله إنَّه * * * له كلَّ يومٍ في خليقته أمر
عسى ما ترى ألاَّ يدوم وأن * * * ترى له فرجاً ممَّا ألمّ به الدَّهر
إذا اشتدَّ عسرٌ فارج يسراً فإنَّه * * * قضى الله أنَّ العسر يتبعه اليسر

عن مالك عن زيد بن اسلم قال كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب إليه عمر بن الخطاب :أما بعد فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين ، مالك: الموطأ ٢:٤٤٦.

كان الفضل بن سهل قد مرض بخراسان، وأشفى على التلف ، فلما أصاب العافية جلس للناس، فدخلوا عليه ، وهنوه بالسلامة، وتصرفوا في الكلام. فلما فرغوا من كلامهم أقبل على الناس، وقال: إن في العلل لنعما لا ينبغي للعقلاء أن يجهلوها:تمحيص الذنوب، والتعرض لثواب الصبر، والإيقاظ من الغفلة، والأذكار بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء التوبة، والحض على الصدقة.وفيات الأعيان،٤/٤٢-٤٣.

٥- ثمار وفوائد الصبر :

وللصبر ثمرات عظيمة منها :

١- الصابرون هم أهل الفوز والنجاة :

قال تعالي عن المؤمنين الفائزين بالنعيم المقيم في الآخرة :"إِنِّي جَزَيْتُهُمْ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمْ الْفَائِزُونَ (١١١) **سورة المؤمنون .**

وكذلك بشرنا الله عز وجل بما يقال لأهل الجنة يوم القيامة "سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) **سورة الرعد .**

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَال:إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ ، قال الله ، لِمَلاَئِكَتِهِ : قَبَضْتُم وَلَدَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيَقُولُ : قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ ؟ فَيَقُولَونَ : نَعَمْ . فَيَقُولُ : مَاذَا قال عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ . فَيَقُولُ الله : ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ . وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ.**أخرجه أحمد ٤/٤١٥ والترمذي (١٠٢١ الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٣ / ٣٩٨.**

عن عَطَاءُ بْنُ أَبِى رَبَاحٍ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى. قَالَ:هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ إني أُصْرَعُ وإني أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لي. قَالَ إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ. قَالَتْ أَصْبِرُ. قَالَتْ فإني أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا.**أخرجه أحمد ١/٣٤٦(٣٢٤٠) و"البُخَارِي" ٧/١٥٠ و"مسلم" ٨/١٦(٦٦٦٣).**

كان لإبراهيم الحربي ابن كان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن، ولقّنه من الفقه جانبًا كبيرًا، قال: فمات فجئت أعزيه، فقال: كنت أشتهي موت

ابني هذا، قال: فقلت له: يا أبا إسحاق، أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب ولقّنته الحديث والفقه؟! قال: نعم، رأيت في منامي كـــأنّ القيامة قد قامت، وكأن صبيانًا بأيديهم قِلال فيها ماء يـــستقبلون النـــاس فيسقونهم، وكان اليوم حارًا شديدًا حره، قال: فقلت لأحدهم: اسقني مـــن هذا الماء، قال: فنظر وقال: ليس أنت أبي، قلت: فأي أنتم؟ قال: فقال لي: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلّفنا آباءنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته.**ابن الجوزي : صفة الصفوة ٤٠٩/٣.**

قال الشاعر:

إذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * * * فافرغ لها صبرا ووسع لها صدرا

فإن تصاريف الزمان عجيبة فيوماً * * * ترى يسراً ويوماً ترى عسرا

٢- الصابرون دائما في معية اللّه وفي محبته :

قال تعالي : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّـــهَ مَـــعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) **سورة البقرة.**

قال تعالى : " كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِـإِذْنِ اللَّـــهِ وَاللَّـــهُ مَـــعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) **سورة البقرة** ، وقوله تعالي :"وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّـــهِ وَمَـــا ضَـــعُفُوا وَمَـــا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦)**آل عمران.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـــالَ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُـــمَّ

يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. أخرجه "أحمد" ٣٦٧/٣(٧٦١٤) و"البُخاري" ٧٤٨٥ و"مسلم" ٦٧٩٨ .

قال مُطرِّف بن عبدالله الشخير: أتيت عمران بن حصين يوماً، فقلت لــه: إني لأدع إتيانك لما أراك فيه، ولما أراك تلقى. قال: فلا تفعل، فو الله إن أحبه إليّ أحبه إلى الله .وكان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه، فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة، لا يقوم ولا يقعد، قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته.فدخل عليه مطرف وأخوه العــلاء، فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال: لم تبكي؟ قال: لأني أراك على هــذه الحالة العظيمة. قال: لا تبك فإن أحبه إلى الله تعالى، أحبه إلي. ثم قــال: أحدثك حديثاً لعل الله أن ينفع به، واكتم علي حتى أمــوت، إن الملائكــة تزورني فآنس بها، وتسلم علي فأسمع تسليمها، فــأعلم بــذلك أن هــذا البلاء ليس بعقوبة، إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة، فمن يشاهد هذا في بلائه، كيف لا يكون راضياً به؟! **(إحياء علوم الدين ٣٤٩/٤).**

قال الشاعر:

إن الذي عَقَدَ الذي انعقدت له * * * عُقَدُ المكاره فيك يملك حَلّها
صبرًا فإن الصبر يعقب راحة * * * ولعلّها أن تنجلي ولعلّها

٣- يوفون أجرهم بغير حساب :

قال الله: " إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْــرِ حِــسَاب" **[الزمر:١٠]**. قــال سليمان بن القاسم:كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال: كالماء المنهمر، وقال الأوزاعي: ليس يــوزن لهم ولا يكال لهم، وإنما يغرف لهم غرفًا.

قال بعض السلف: إذا أعجبتك نفسك في قيام الليل فتذكر من هـم أرفـع منزلة منك، نائمون على فرشهم، هم أهل البلاء الصابرون.

وروى الحافظ أبو نعيم: لما توفي ذر بن عمر الهمداني، جـاءه أبـوه أو جاء أبوه، فوجده قد مات، فوجد أهل بيته يبكون، فقال: ما بكم؟ قـالوا: مات ذر، فقال: الحمد لله، والله ما ظلمنا ولا قهرنا ولا ذهب لنا بحق، وما أريد غيرنا بما حصل لذر، ومالنا على الله من مأثم، ثم غـسَّله وكفَّنـه، وذهب ليصلي مع المصلين، ثم ذهب به إلي المقبرة، ولما وضـعه فـي القبر قال: رحمك الله يا بني، قد كنت بي بارًا، وكنت لك راحمًا، ومـالي إليك من وحشة ولا إلى أحد بعد الله فاقة، والله يا ذر ما ذهبت لنا بعـز، وما أبقيت علينا من ذل، ولقد شغلني والله الحزن لك عن الحزن عليك، يا ذر –والله- لولا هول يوم المحشر لتمنيت أني صِرْت إلى ما إليه صرت. يا ليت شعري ماذا قيل لك وبماذا أجبت؟ ثم يرفع يديه أخري باكيًا، اللهم إنك قد وعدتني الثواب إن صبرت، اللهم ما وهبته لي من أجر فاجعله لذر صلة مني، وتجاوز عنه، فأنت أرحم به مني، اللهم إني قد وهبـت لـذر إساءته فهب له إساءته فأنت أجود مني وأكرم ثم انصرف ودموعه تقطر على لحيته.

انصرف وهو يقول: يا ذر قد انصرفنا وتركناك، ولو أقمنا مـا نفعنـاك، وربنا قد استودعناك، والله يرحمنا وإياك .علي بن نايف الشحود: موسوعة البحوث والمقالات العلمية ص ٦.

قال الشاعر:

مَن يلزَمِ الصَّبرَ يَستَحسِن عَواقِبَهُ * * * وَالماءُ يَحسُنُ وَقعاً عِندَ كُلِّ ظَمِ
لَو لَم يَكُن فِي اِحتِمالِ الصَّبرِ مَنقَبةٌ * * * لَم يَظهَرِ الفَرقُ بَينَ اللُّؤمِ وَالكَرَمِ

٤- يعوض الله تعالى الصابرين خيرا:

عَن مُصعب بْنِ سعد ، عَن أَبيهِ سعد بن أَبي وَقاص ؛ قَــال :قُلْــتُ : يَــا رَسُولَ الله ، أَيُّ اَلناسِ أَشَدُّ بَلاَءً ؟ قَالَ : اَلآنبِيَاءُ ، ثُم الأمثــل فالأَمْثَــلُ ، يُبْتَلَى اَلْعَبْدُ على حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُنبًا اَشتَد بَــلأَوهُ ، وإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقة أبتُلِيَ على حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ ألبَلاَءُ بِالعَبْــدِ حتُّــىَ يَترُكَهُ يَمشِي على ألأَرضِ ، ومَا عَلَيهِ مِن خَطِيئَةِ.**أخرجه أحمد ١٧٢/١(١٤٨١) و"الـدارِمِي" ٢٧٨٣ والتِّرْمِذِيّ" ٢٣٩٨ ، الألبـاني فـي "السلسلة الـصحيحة" ١ / ٢٢٥.**

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله يقول: " ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مــصيبتي وأخلف لي خيرًا منها إلا آجره الله تعالى في مصيبته، وأخلف لــه خيــرًا منها " قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أيّ المسلمين خيــر مــن أبــي سلمة؟! أول بيت هاجر إلى رسول الله ، ثم إني قلتها، فــأخلف الله لــي خيرًا منه: رسول الله .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه".

عَنْ أَنَس ، قَالَ:مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُــلَيْمٍ ، فَقَالَــتْ لأَهْلِهَــا : لاَ تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ ، قَالَ : فَجَاءَ ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، قَالَ : ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَــصَنَّعُ قَبْــلَ ذَلِكَ ، فَوَقَعَ بِهَا ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ ، وَأَصَابَ مِنْهَا ، قَالَتْ : يَا أَبَــا طَلْحَةَ ، أَرَأَيْتَ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ ، وَطَلَبُــوا عَــارِيَتَهُمْ ،

أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَتْ : فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ ، فَانْطَلَقَ ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا ، قَالَ : فَحَمَلَتْ ، قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ ، وَهِيَ مَعَهُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ ، لاَ يَطْرُقُهَا طُرُوقًا ، فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ ، وَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : يَا رَبِّ ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ ، وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ ، وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى ، قَالَ : تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ : يَا أَبَا طَلْحَةَ ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ ، فَانْطَلَقْنَا ، قَالَ : وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمُوا ، فَوَلَدَتْ غُلاَمًا ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي : يَا أَنَسُ ، لاَ يُرْضِعَنَّهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : فَلَمَّا أَصْبَحْتُ احْتَمَلْتُهُ وَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مِيسَمٌ ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ : لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ ، قَالَ : فَوَضَعَ الْمِيسَمَ ، قَالَ : فَجِئْتُ بِهِ ، فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ ، قَالَ : وَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ ، فَلاَكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ ، ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ ، قَالَ : فَمَسَحَ وَجْهَهُ ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ.

أخرجه أحمد ١٧٥/٣(١٣٨٣٦) و"البُخَارِي" ، فِي (الأدب المفرد) ١٢٥٤ و"مسلم" ٥٦٦٣.

قال الشاعر:

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ وَصْلَكَ يُشْتَرَى * * * بِنَفَائِسِ الأَمْوَالِ وَالأَرْبَاحِ

وَظَنَنْتُ جَهْلاً أَنَّ حُبَّكَ هَيِّنٌ * * * تُفْنَى عَلَيْه كَرَائِمُ الأَرْوَامِ
حَتَّى رَأَيْتُكَ تَجتبِي وَتَخُصُّ مَنْ * * * تَخْتَارُهُ بِلَطَائِفِ الإِمْنَامِ
فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لا تُنَالُ بِحِيلَةٍ * * * فَلَوَيْتَ رَأسِي تحت طَيِّ جَنَاحِ
وَجَعَلْتُ في عُشِّ الغَرَامِ إِقَامَتِي * * * أبدًا وفيه تَوطُني ورَوَامِ

٥- الصبر سبب تكفير السيئات وزيادة الحسنات:

قال بعض السلف: لولا المصائب لوردنا الآخرة مفاليس، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: مَا يُصِيبُ الْمسلِمَ مِنْ نَصَب ، وَلاَ وَصَب ، وَلاَ هَمِّ ، وَلاَ حَزَن ، وَلاَ أَذىً ، وَلاَ غَمّ ، حَتى الشوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إلا كَفَّرَ الله بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ. **أخرجه أحمد ٢/٣٠٣(٨٠١٤) و"البُخَارِي" ١٤٨/٧و"مسلم" ١٦/٨(٦٦٦٠).**

عن أنس بن مالك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " إن نبي الله أيوب صلى الله عليه وسلم لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة فرفضه القريب و البعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه و يروحان ، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم : تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه : و ما ذاك ؟ قال : منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب : لا أدري ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان ، فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق ، قال : و كان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكته امرأته بيده حتى يبلغ ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها و أوحي إلى أيوب أن (اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب) فاستبطأته فتلقته تنظر و قد أقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء و

هو أحسن ما كان فلما رأته قالت : أي بارك الله فيك هل رأيت نبـــي الله هذا المبتلى ، والله على ذلك ما رأيت أشبه منك إذ كان صحيحا ، فقال : فإني أنا هو ، و كان له أندران (أي بيدران) : أنــدر للقمــح و أنــدر للشعير ، فبعث الله سحابتين ، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض و أفرغت الأخرى في أندر الشعيرالورق حتى فاض

" .رواه أبو يعلى في " مسنده " (١٧٦ / ١ – ١٧٧ / ١) و أبو نعيم في " الحلية " (٣ / ٣٧٤ – ٣٧٥) قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٣٥.

قال الشاعر:

اصبر لكل مصيبةٍ وتجلد * * * واعلم بأن المرء غير مخلد
أو ما ترى أن المصائب جمة * * * وترى المنية للعباد بمرصد
من لم يصب ممن ترى بمصيبةٍ؟ * * * هذا قبيل لست فيه بأوحد
وإذا أتتك مصيبة تشجي بها * * * فاذكر مصابك بالنبي محمد

٦- الصبر سبب لهداية القلوب :

إن الصبر سبب لهدايــة القلــوب، وزوال قــسوتها، وحــدوث رقتهــا، وانكسارها، فكم من غافل رجع إلى ربه عندما أصيب بمرض ؟ كم من لاه أقبل على مولاه عندما أصيب بفقد عزيز ويقول سبحانه: " وَمَــنْ يُــؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ " [التغابن:١١] قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى المسلم ومعنى الآية: أن من أصــابته مــصيبة فعلم أنها من قدر الله فصبر، واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه، ويقينًا صادقًا، وقــد يخلــف عليه ما كان أخذ منه خيرًا .

روي أن عروة خرج إلى الوليد بن عبدالملك ، حتى إذا كان بوادي القرى ، فوجد في رجله شيئاً ، فظهرت به قرحة الآكلة ، ثم ترقى به الوجع ، وقدم على الوليد وهو في محْمل ، فقيل : ألا ندعوا لك طبيباً ؟ قال : إن شئتم ، فبعث إليه الوليد بالأطباء فأجمع رأيهم على أن لم ينشروها قتلته ، فقال شأنكم فقالوا : اشرب المُرقد ، فقال : امضوا لشأنكم ، ماكنت أظن أن خلقاً يشرب مايزيل عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل ، ولكن هلمـوا فاقطعوها . وقال ابن قتيبة وغيره : لما دعي الجزار ليقطعها قال لـه : نسقيك خمراً حتى لا تجد لها ألماً ، فقال : لا أستعين بحرام الله على مـا أرجو من عافية ، قالوا : فنسقيك المرقد ، قال : ما أحب أن اسلب عضواً من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه ، قال : ودخل قـوم أنكـرهم ، فقال : ماهؤلاء ؟ قالوا : يمسكونك فإن الألم ربما عَزَبَ معه الصبر ، قال : أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسي ...فوضع المنشار على ركبته اليـسرى فنشروها بالمنشار فما حرك عضواً عن عضو وصبر حتى فرغوا منها ثم حمسوها وهو يهلل ويكبر ، ثم إنه أغلي له الزيت في مغـارف الحديـد فحسم به ، ثم غشي عليه ، وهو في ذلك كله كبير السن وإنه لصائم فما تضور وجهه ، فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه . وروي أنه لما أُمر بشرب شراب أو أكل شيء يذهب عقله قال : إن كنتم لا بد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة فإن لا أحس بذلك ولا أشعر به ، قال : فنشروا رجله من فوق الآكله من المكان الحيَّ احتياطاً أنه لا يبقى منها شيء وهو قائم يصلي فما تصور ولا اختلج فلما انصرف من الصلاة عزّاه الوليـد فـي رجله . وقيل : إنه قطعت رجله في مجلس الوليد ، والوليد مشغول عنـه بمن يحدثه ، فلم يتحرك ولم يشعر الوليد أنها قطعت حتى كويـت فوجـد

رائحة الكي . وقال الوليد : ما رأيت قط شيخاً أصبر من هذا . ولما رأى رجله وقدمه في أيديهم أو في الطست دعا بها فتناولها فقلبها في يده ثم قال : أما والذي حملني عليك أنه ليعلم أن مامشيت بك إلى حرام ، أو قال : إلى معصية . ثم أمر بها فغسلت وحنطت وكفنت ولفت بقطيفه ثم أرسل بها إلى المقابر . وكان معه في سفره ذلك ابنه محمد ، ودخل محمد اصطبل دواب الوليد ، فرفسته دابة فخر ميتاً . فأتى عروة رجل يعزيه ، فقال : إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها . قال : بل أعزيك بمحمد ابنك ، قال : وماله ؟ فأخبره ، فقال : اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء ، وأخذت ابناً وتركت أبناءًا . فما سمع منه شيء في ذلك حتى قدم المدينة فلما قدم المدينة . أتاه ابن المنكدر ، فقال ، كيف كنت ؟ قال ((لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً)) وقال : اللهم إنه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد ، وكان لي بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد وأيم الله لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت لطالما عافيت ، وروي : اللهم إن كان لي بنون سبعة ولما دخل المدينة أتاه الناس يسلمون عليه ويعزونه في ابنه ورجله ، فبلغه أن بعض الناس ، قال : إنما أصابه هذا بذنب عظيم أحدثه ، فأنشد عروة في ذلك متمثلاً أبياتاً لمعن بن أوس :

لعمرك ما أهويت كفي لريبة * * * ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها * * * ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

ولست بماشٍ ماحييت لمنكر * * * من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي

ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة * * * وأوثر ضيفي ما أقام على أهلي

وأعلم أني لم تصبني مصيبة من الدهر * * * إلا قد أصابت فتى قبلي

وكان أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة ، فقال له : والله مابك حاجة إلى المشي ، ولا أربُ في السعي ، وقد تقدمك عضو من أعــضائك وابن من أبنائك إلى الجنة ، والكل تبع لبعض – إنشاء الله تعالى – وقــد أبقى الله لنا منك ماكنا إليه فقراء من علمك ورأيك نفعك الله وإيانا به ، والله ولي ثوابك ، والضمين بحسابك، وعاش بعد قطــع رجلــه ثمــاني سنوات.ولم يدع ورده من القرآن والقيام وحتى في هذه الليلــة . **وفيات الأعيان ٣/٣٥٦ ، و سير أعلام النبلاء ٤/٤٣٣ .**

قال الشاعر:

ولا تجزع إذا أعسرت يوماً * * * فقد أيسرت في الزمن الطويل

ولا تظنن بربك ظن سوء * * * فإن الله أولى بالجميل

وإن العسر يتبعه يسار * * * وقول الله أصدق كل قيل

فلو أن العقول تسوق رزقاً * * * لكان المال عند ذوي العقول

أصيب ابن عباس ببصره أنشد :

إِنْ يأْخُذِ اللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا * * * فَفِي لِسَانِي وَسَمْعِي مِنْهُمَا نُورُ

قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ * * * وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورُ

لما رأى رجل قرحة في يد محمد بن واسع ففزع منها قال له: (الحمد لله أنها ليست في لساني، ولا على طرف عيني) .

ورأى رجلٌ فقيرًا، مريضًا، كفيفًا مقعدًا وهو يردد: الحمد لله الذي فضلني على كثير من عباده فقال: يرحمك الله وبماذا فضلك ؟ قال: رزقني لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وجسدًا على البلاء صابرًا.